



# قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ



الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد الله المزروعى





قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى

فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ

الْبَيْعِ

إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الزُرْعِيِّ

شبكة بيتونمة للعالم والشريعة

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



@BaynoonanetUAE



@Baynoonanet



www.baynoona.net

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أما بعد:

فنحمد الله **عَزَّوَجَلَّ** على نعمة الإسلام، ونسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل ذلك في موازين أعمالنا يوم القيامة.

محاضرة اليوم بعنوان: قدرة الله في خلق الإنسان التفكير في مخلوقات الله أمره عظيم، قد رغب الله **عَزَّوَجَلَّ** فيه، فقال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩]، وقد عاب سبحانه وتعالى على قوم لم يعملوا فكرهم، ولم يتدبروا في آياته، ولم يعتبروا بمخلوقاته،

فأخبر عنهم سبحانه وتعالى في معرض الذم فقال:

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ  
عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يُوسُف: ١٠٥]، ويقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنِّي فِي  
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلِفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآئِنِّي لِأُولِي  
الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ  
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا  
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

يتفكرون في ارتفاع السماء واتساعها، وانخفاض  
الأرض واتساعها وما فيها من الآيات العظيمة، من  
كواكب، سيارات وثوابت وبحار، وجبال، وقفار،  
وأشجار ونبات وزروع وثمار، وحيوان ومعادن، وغير  
ذلك، كل هذا يجلو النفس ويشرح الصدر ويزيل الهم،  
فيشعر الإنسان بأنه أصبح خفيفاً طليقاً.

يقول أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ اللهُ: «إِنِّي  
لَأُخْرِجُ مِنْ مَنْزِلِي، فَمَا يَقَعُ بَصْرِي عَلَى شَيْءٍ إِلَّا

رَأَيْتُ لِلَّهِ عَلَيَّ فِيهِ نِعْمَةٌ» (١) ذكره ابن القيم رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كتاب مفتاح دار السعادة، وهكذا ذكر قول عمر بن عبد العزيز رَحْمَةُ اللَّهِ يَقُولُ: «الْكَلَامُ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ، حَسَنٌ، وَالْفِكْرَةُ فِي نِعَمِ اللَّهِ أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ» (٢).

إِذَا التَّفَكَّرَ فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ يَزِيدُ الْمُؤْمِنُ إِيمَانًا وَيُرَدِّعُ الْعَاصِيَ وَيَذَكِّرُ الْغَافِلَ، وَيُوقِظُ النَّائِمَ، وَيُحْرِكُ كَوَامِنَ النَّفْسِ لِلرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ، أَمَا الْمَلْحَدُ الْكَافِرُ فَاللَّهُ عَزَّجَلَّ يَقُولُ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٣]، سَنُرِيهِمْ يَعْنِي الْمُسْتَقْبَلُ، سَنُرِي كُلَّ جِيلٍ مَا لَمْ يَرَهُ الْجِيلُ الَّذِي سَبَقَهُ، أَيْنَ؟ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ.

انظُرْ إِلَى نَفْسِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ يَقُولُ: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ كَيْفَ خَلَقَهُ﴾ [الطَّارِقُ: ٥]، إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَنْبَهُكَ وَيَذَكِّرُكَ بِشَيْءٍ هَامٍ حَتَّى لَا تَتَنَّنَ نَفْسَكَ سَيِّدًا وَقَدْ أَخَذَكَ الْغُرُورُ،

(١) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ «التَّفَكُّرِ وَالْإِعْتِبَارِ».

(٢) تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ سَلَامَةٌ (٢/ ١٨٥)

تملكك الكبر، بارزت الله بالمعاصي قف قليلاً انظر  
تأمل، فكر، لتعرف مقدار نفسك، وانظر مما خلقت  
هنا يأتيك الجواب من الله **عَزَّجَلَّ**، ﴿ **أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ** ﴾  
[المُرْسَلَات: ٢٠]، نقطة ماء مهينة حقيرة مستقدرة لو تركت  
لحظة لتنت وتعفنت، ولو سقطت على ثوبك ما هدا  
لك بال حتى تنظفها وتزيلها.

ألا ترى أيها الإنسان أن الأرض تدور، والشمس  
والقمر يجريان، والليل والنهار يتعاقبان بنظام بالغ  
الدقة لا حيلة لك، ولا يد فيه، ألا ترى رئيتك تتنفس  
وقلبك ينبض، وجهازك الهضمي يعمل في يقظتك وفي  
منامك بأمر لا حيلة ولا يد لك فيه أيضاً، الكل يسير  
بتسخير الله **عَزَّجَلَّ** وقدرته.

لذلك الإمام القرطبي **رَحِمَهُ اللهُ** في تفسيره ذكر بأن  
هناك شبهة كبيرة في الإنسان والكون، عند تفسير  
قول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ [الدَّارِيَات: ٢١]،

الآية الواحد والعشرون من سورة الذاريات، يقول القرطبي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «فَحَوَّاسُ الْإِنْسَانِ أَشْرَفُ مِنَ الْكَوَاكِبِ الْمُضِيئَةِ، وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي إِدْرَاكِ الْمُدْرَكَاتِ بِهَا، وَأَعْضَاؤُهُ تَصِيرُ عِنْدَ الْبَلَى تَرَابًا مِنْ جِنْسِ الْأَرْضِ، وَفِيهِ مِنْ جِنْسِ الْمَاءِ الْعَرَقُ وَسَائِرُ رُطُوبَاتِ الْبَدَنِ، وَمِنْ جِنْسِ الْهَوَاءِ فِيهِ الرُّوحُ وَالنَّفْسُ، وَمِنْ جِنْسِ النَّارِ فِيهِ الْمِرَّةُ الصَّفْرَاءُ. وَعُرُوقُهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَنْهَارِ فِي الْأَرْضِ، وَكَبِدُهُ بِمَنْزِلَةِ الْعُيُونِ الَّتِي تُسْتَمَدُّ مِنْهَا الْأَنْهَارُ، لِأَنَّ الْعُرُوقَ تَسْتَمَدُّ مِنَ الْكَبِدِ»<sup>(٣)</sup> وهكذا وصف شيئاً من الإنسان في تفسيره **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

دعوة من خلال هذه المحاضرة للتفكير في قدرة الله **عَزَّوَجَلَّ** في خلق الإنسان، من خلال ما نذكره لكم من كلام الإمام ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**، في كتابه مفتاح دار السعادة، نقل من هذا الكتاب شيئاً من كلامه **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن قدرة الله

(٣) تفسير القرطبي (٢/ ٢٠٣)

عَزَّجَلَّ في خلق الإنسان، لترى أيها الإنسان بديع خلق الله  
عَزَّجَلَّ، لترى حكمة الله عَزَّجَلَّ لتقف بنفسك على أسرار  
قدرة الله عَزَّجَلَّ في خلقك.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في ذكره لبعض دلائل قدرة الله  
عَزَّجَلَّ في خلق الإنسان، في الجزء الأول من كتابه مفتاح  
دار السعادة: «ندب الله سبحانه إلى التفكير في خلق  
الإنسان بغير موضع من كتابه، فقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ  
خُلِقَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، وقال  
تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ  
مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ  
مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى  
ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ  
يُنُوفٍ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ  
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ  
أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج : ٥]،

ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُنْ مِنْ نُطْفَةٍ مِنْ

مَمِيٍّ يُعْنَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ الذُّوْحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾

أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿ [القيامة: ٣٦ - ٤٠]، بلى سبْحانَه

وتعالى، ويقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ

فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿ [المرسلات:

٢٠ - ٢٣]، وهكذا آيات كثيرة الله عَزَّوَجَلَّ رغب بالتفكر في

خلق الإنسان، والآيات كثيرة والله عَزَّوَجَلَّ يدعو العبد

إلى النظر والفكر في بدء خلقه ووسطه وآخره؛ إذ نفسه

وخلقها من أعظم الدلائل على خالقه وطاقته، وأقرب

شيء إلى الإنسان نفسه، وفيهم العجائب الدالة على

عظمة الله، ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضها،

وهو غافل عنه، معرض عن التفكير فيه، ولو فكر في

نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره،

فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾

مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَّانَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾

ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿ [عبس: ١٧ - ٢٢] ﴾ .

ثم يقول ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** يذكر دلائل قدرة الله **عَزَّجَلَّ** في النطفة، فيقول **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «انظر الآن إلى النطفة بعين البصيرة وهي قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر لو مرت بها ساعة من الزمان لفسدت وأنتت كيف استخرجها رب الأرباب العليم القدير من بين الصلب والترائب منقادة لقدرته، مطيعة لمشيئته، مذلة الانقياد على ضيق طرقها واختلاف مجاريها إلى أن ساقها إلى مستقرها ومجمعها، وكيف جمع سبحانه بين الذكر والأنثى وألقى المحبة بينهما، كيف قادهما بسلسلة الشهوة والمحبة والاجتماع الذي هو سبب تخليق الولد وتكوينه، كيف قدر اجتماع المائين مع بعد كل منهما عن صاحبه، ساقهما من أعماق العروق والأعضاء وجمعهما في موضع واحد، جعل لهما قراراً مكيناً، فلا يناله هواء يفسده ولا برد يجمده

ولا عارض يصل إليه، ولا آفة تتسلط عليه، ثم قلب تلك النطفة البيضاء المشربة علقة حمراء تغرب إلى السواد ثم جعلها مضغة لحم مخالفة للعلقة في لونها وحقيقتها وشكلها، ثم جعل لها عظاماً مجردة لا كسوة عليها، مباينة للمضغة في شكلها وهيئتها وقدرها، وملمسها ولونها، وانظر كيف قسم تلك الأجزاء المتشابهة المتساوية إلى الأعصاب والعظام والعروق والأوتار واليابس واللين، بعد ذلك، ثم كيف ربط بعضها ببعض بأقوى رباطٍ وأشدّه وأبعده عن الانحلال، كيف كساها لحمًا ركبها عليها، وجعلها وعاءً لها وغشاءً وحافظًا وجعلها حاملة له» (٤)

كلامٌ طويل له رَحْمَةُ اللَّهِ يذكّر فيه قدرة الله عَزَّوَجَلَّ في هذه النطفة، التي خُلِقَ منها الإنسان، ثم يقول: «فارجع الآن إلى النطفة وتأمل حالها أولاً وما سارت إليه ثانياً وأنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا لها سمعاً

(٤) كتاب مفتاح دار السعادة الجزء الثاني (ص: ٥٥٨)

أو بصراً أو عقلاً أو قدرة أو علماً أو روحاً بل عظماً واحداً من أصغر عظامها، بل عرقاً من أدق عروقها، بل شعرة واحدة لعجزوا عن ذلك، فذلك كله آثار صنع الله الذي أتقن كل شيءٍ من قطرة من ماءٍ مهين»<sup>(٥)</sup>

كلامٌ قيم من هذا الإمام، فيه تقوية للإيمان، وفيه دعوة للتفكير كما أمرنا الله **عَزَّجَلَّ** في كتابه: ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ [الدَّارِيَات: ٢١]، فالمؤمن ليرتقي في إيمانه ويزداد إيماناً ويتفكر، ونعمة التفكير وعبادة التفكير من نعم الله **عَزَّجَلَّ** علينا.

ثم يذكر **رَحْمَةُ اللَّهِ** بعد كلامه الطويل عن النطفة يذكر الفوائد في كثرة بكاء الطفل بعد ولادته، ما هي الحكمة في كثرة بكاء الطفل؟ يقول **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «ثم تأمل حكمة الله تعالى في كثرة بكاء الأطفال وما فيه من المنفعة فإن الأطباء شهدوا منفعة ذلك وحكمته،

(٥) مفتاح دار السعادة الجزء الثاني (ص: ٤٦٠)

قالوا في أدمغة الطفل رطوبة لو بقيت في أدمغتهم لأحدثت إحداثاً عظيماً، فالبكاء يسيل ذلك ويحدره من أدمغتهم تقوى أدمغتهم وتصح أيضاً فالبكاء يوسع عليهم مجاري النفس، ويفتح العروق ويصاحبها، ويقوي الأعصاب، فكم للطفل من منفعة ومصلحة فيما تسمعه من بكائه وصراخه، فإذا كانت هذه الحكمة في البكاء الذي سببه ورود الألم المؤذي وأنت لا تعرفها، ولا تكاد تخطر ببالك، وهكذا إيلام الأطفال فيه وفي أسبابه وعواقبه الحميدة من الحكم ما قد خفي على أكثر الناس»<sup>(٦)</sup> رحم الله ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

ثم يذكر دلائل قدرة الله **عَزَّوَجَلَّ** في خلق البصر، العين، يقول: «وجعل حاسة البصر ليكون كالطليعة والحرس والكاشف للبدن، ركب كل عين من سبع طبقات، لكل طبقة وصف مخصوص، ومقدار مخصوص

(٦) مفتاح دار السعادة الجزء الثاني (ص: ٤٧٦)

ومنفعة مخصوصة، فلو فقدت طبقة من تلك الطبقات السبع، أو زالت عن هيئتها وموضعها لتعطلت العين عن الإبصار»<sup>(٧)</sup> كلام طويل، ثم قال: «وانظر كيف حسن شكل العينين وهياتهما ومقدارهما، ثم جعلهما بالأجفان غطاءً لهما، وستراً وحفظاً وزينة، فهما يتلقيان عن العين الأذى والقذى والغبار، ويكفانها من البارد المؤذي والحار المؤذي، ثم غرس في أطراف تلك الأجفان الأهداب جمالاً وزينة، ولمنافع آخر وراء الجمال والزينة»

ثم أيضاً يذكر **رَحْمَةُ اللَّهِ** دلائل قدرة الله في خلق الأذن، وبقية أعضاء البدن، يقول: «خلق الأذن أحسن خلقه وأبلغه في حصول المقصود منها، جعلها مجوفة كالصدفة لتجمع الصوت فتؤديه إلى الصمخ وليحس بدبيب الحيوان فيها، ويبادر إلى إخراجها،

(٧) مفتاح دار السعادة الجزء الثاني (ص: ٥٤٣)

وجعل فيها غصوناً أو غضوناً وتجاويف واعوجاجات  
تُمْسِكُ الهَوَاءَ والصوت الداخل فتكسر حدته، ثم تؤديه  
إِلَى الصمخ ومن حكمة ذلك أن يطول به الطريق على  
الحيوان فلا يصل إِلَى الصمخ، هذا الحيوان الذي  
يدخل في أذن الإنسان يطول به الطريق على الحيوان فلا  
يصل إِلَى الصمخ حتى يستيقظ أو ينتبه لإمساكه، وفيه  
أيضاً حكمٌ غير ذلك»

ثم يذكر الحكمة في أن ماء الأذن مرأً، وماء العين  
مالحاً، وماء الفم عذباً، فيقول **رَحْمَةُ اللَّهِ:** «اقتضت  
حكمة الرب الخالق سبحانه أن جعل ماء الأذن مرأً في  
غاية المرارة، فلا يجاوزه الحيوان ولا يقطعه داخلاً إِلَى  
باطن الأذن، بل إذا وصل إليه أعمل الحيلة في رجوعه،  
وجعل ماء العين مالحاً ليحفظهما، فإن شحمتها قابلة  
للفساد، فكان ملوح مائها صيانة لها وحفظاً وجعل ماء  
الفم عذباً حلواً ليدرك به طعم الأشياء على ما هي عليه؛

إذ لو كان على غير هذه الصفة لأحالتها إلى طبيعته، كما أن من عُرض بقمه المرارة استمر طعم الأشياء التي ليست بمرّة كما قال الشاعر: ومن يك ذا فمٍ مر مريضٍ يجد فيه مرّاً به الماء الزلال»

ثم يذكر **رَحْمَةُ اللَّهِ** دلائل قدرة الله **عَزَّوَجَلَّ** في الأنف، فيقول: «نصب سبحانه قصبه الأنف في الوجه فأحسن شكله وهيئته وفتح فيه المنخرين وحجز بينهما بحاجزٍ وأودع فيهما حاسة الشم التي ندرك بها أنواع الروائح الطيبة والخبيثة والنافعة والضارة، وليستنشق به الهواء فيوصله إلى القلب فيتروح به، يتغذى به، ثم لم يجعل في داخله من الاعوجاجات والغضون ما يجعل في الأذن لئلا يمسك الرائحة فيضعفها ويقطع مجراها، جعله سبحانه مصداً تنحدر إليه فضلات الدماغ، تجتمع فيه ثم تخرج منه، واقتضت حكمته سبحانه أن جعل أعلاه أدق من أسفله، لأن أسفله إذا كان واسعاً

اجتمعت فيه تلك الفضلات» انتهى كلامه عن قدرة الله **عَزَّوَجَلَّ** في الأنف.

ثم يذكر أيضاً قدرة الله **عَزَّوَجَلَّ** في الفم وما يحتويه الفم من اللسان والأسنان والشفيتين، فيقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ** في كتابه مفتاح دار السعادة يقول: «شق سبحانه للعبد الفم في أحسن موضع، وأليقه به، وأودع فيه من المنافع وآلات الذوق والكلام وآلات الطحن والقطع ما يُبهر العقول عجائبه، فأودعه اللسان الذي هو أحد آياته الدالة عليه، وجعله ترجماناً لملك الأعضاء، مبيناً مؤدياً عنه، كما جعل الأذن رسولاً مؤدياً مبلغاً إليه، فهي رسوله وبريده الذي يؤدي إليه الأخبار، واللسان بريده ورسوله الذي يؤدي عنه ما يريد، واقتضت حكمته سبحانه أن جعل هذا الرسول مصوناً محفوظاً مستوراً غير بارزاً مكشوفاً كالأذن والعين والأنف» هي مكشوفة غير اللسان.

ثم يقول: «لأن تلك الأعضاء لما كانت تؤدي من الخارج إليه جُعلت بارزة ظاهرة، ولما كان اللسان مؤدياً منه إلى الخارج جُعل له ستراً مصوناً لعدم الفائدة في إبرازه، لأنه لا يأخذ من الخارج إلى القلب، وأيضاً لأنه لما كان أشرف الأعضاء بعد القلب، ومنزلته منه منزلة ترجمانه ووزيره ضُرب عليه سرادق تستره، وتصونه، وجعل في ذلك السرادق كالقلب في الصدر» كل هذا الكلام عن اللسان وقدرة الله عَزَّوَجَلَّ في خلق هذا اللسان.

ثم يقول ابن القيم: «ثم زين سبحانه الفم بما فيه من الأسنان التي هي جمال له، وزينة وبها قوام العبد وغذاؤه وجعل بعضها للطحن وبعضها آلة للقطع، فأحكم أصولها وحدد رؤوسها وبيض لونها، ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب، كأنها الدر المنظوم بياضاً، وصفاءً وحسنًا، وأحاط سبحانه على ذلك حائطين وأودعهما من المنافع والحكم

ما أودعهما وهما الشفتان، فحسن لونهما وشكلهما ووضعهما، الله **عَزَّجَلَّ** هياهما وجعلهما إتماماً لمخارج حروف الكلام ونهاية له، كما جعل أقصى الحلق بداية له، واللسان وما جاوره وسطاً، ولهذا كان أكثر العمل فيها له هو الواسطة، واقتضت حكمته أن جعل الشفتين لحمًا صرفاً لا عظم فيه، ولا عصب، ليتمكن بهما من مص الشراب ويسهل عليه فتحهما وطبقهما، وخص الفك الأسفل للتحريك، لأن تحريك الأخرى أحسن ولأن الفك العلوي يجتمع الأعضاء الشريفة، فلم يخاطر بها في الحركة»

كلام ابن القيم يذكر في قدرة الله **عَزَّجَلَّ**، نأخذ منه مما يقوي إيماننا، ويحثنا على التفكير في خلق الإنسان، ثم يتكلم **رَحْمَةُ اللَّهِ** عن قدرة الله **عَزَّجَلَّ** في خلق اليدين، ويذكر هذه القدرة قدرة الله **عَزَّجَلَّ** في خلق اليدين ويقول **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «وخلق سبحانه اليدين اللتين هما آلة العبد وسلاحه،

ورأس ماله في معاشه، فطولهما بحيث يصلان إلى ما شاء من بدنه، وعرض الكف ليتمكن به من القبض والبسط، قسم فيه الأصابع الخمس وقسم كل إصبع بثلاث أنامل والإبهام باثنتين ووضع الأصابع الأربع في جانب والإبهام في جانب لتدور الإبهام على الجميع، فجاءت على أحسن وضع صلحت به للقبض والبسط ومباشرة الأعمال، ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق أفكارهم وضعاً آخر للأصابع سوى ما وضعت عليه لم يجدوا إليه سبيلاً، فتبارك من لو شاء لسواها وجعلها طبقاً واحداً كالصفيحة، فلم يتمكن العبد بذلك من مصالحه، وأنواع تصرفاته، ودقيق الصنائع، والخط وغير ذلك، فإن بسط أصابعه كانت طبقاً يضع عليها ما يريد، وإن ضمها وقبضها كانت دبوساً وآلة للضرب، وإن جعلها بين الضم والبسط كانت له مغرفة يتناول بها ويمسك فيها ما يتناوله،

وركب الأظفار على رؤوسها زينة لها، وعماداً ووقاية،  
 وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا ينالها جسم الأصابع،  
 جعلها سلاحاً لغيره من الحيوان والطيور وآلة لمعاشه،  
 وليحك الإنسان بها بدنه عند الحاجة»

ثم قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «ثم انظر إلى الحكمة في سلب  
 الإحساس والشعور من الأظافر لأنها قد تطول وتمتد  
 وتدعو الحاجة إلى أخذها وتخفيفها، فلو أعطتها  
 الحس لآلمته وشق عليه أخذ ما شاء منها، ولو كانت  
 تحس لوقع الإنسان منها في إحدى البليتين إما تركها  
 حتى تطول وتفحش وتثقل عليه وإما مقاسات الآلام  
 والوجع عند أخذها»<sup>(٨)</sup> انتهى كلامه **رَحْمَةُ اللَّهِ** في كلامه  
 عن قدرة الله **عَزَّجَلَّ** في خلق اليدين، وما فيهما من  
 الأصابع والأظافر.

ثم يذكر **رَحْمَةُ اللَّهِ** قدرة الله **عَزَّجَلَّ** في العظام والمفاصل

(٨) مفتاح دار السعادة الجزء الثاني

والأعصاب وهكذا يتكلم عن قدرة الله **عَزَّجَلَّ** في خلق القلب، وهنا نتوقف عند كلامه **رَحْمَةُ اللَّهِ** يقول: «هو الملك المستعمل لجميع آلات البدن» يقول عن القلب وعن قدرة الله **عَزَّجَلَّ** في خلق القلب يقول: «هو الملك المستعمل لجميع آلات البدن والمستخدم لها، فهو محفوف بها محشورٌ مخدوم مستقر في الوسط، وهو أشرف أعضاء البدن، وبه قوام الحياة، وهو منبع الروح الحيواني والحرارة الغريزية وهو معدن العقل والعلم والحلم والشجاعة والكرم والصبر والاحتمال والحب والإرادة والرضا والغضب وسائر صفات الكمال، فجميع الأعضاء الظاهرة والباطنة وقواها إنما هي جنْدٌ من أجناده، فإن العين طليعته ورائدته، الذي يكشف له المرئيات فإن رأت شيئاً أدته إليه، ولشدة الارتباط التي بينها وبينه إذا استقر فيه شيءٌ ظهر فيها، فهي مرآته المترددة للناظر ما فيه،

كما أن اللسان ترجمانه المؤدي للسمع ما فيه، ولهذا كثيراً ما يقرن سبحانه في كتابه بين هذه الثلاثة، فيقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، ويقول: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً﴾، وكذلك يقرن بين القلب والبصر، ﴿وَنَقَلَبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾.

ثم يقول رَحِمَهُ اللهُ: «وكذلك الأذن فهي رسوله المؤدي إليه، كذلك اللسان ترجمانه، وبالجملة فسائر الأعضاء خدمه وجنوده، وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَنْ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةٌ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»»، والحديث متفق عليه.

ثم يذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في هذا الكتاب الذي أنصح بقراءة كتاب مفتاح دار السعادة يذكر دلائل قدرة الله عَزَّوَجَلَّ في مخ الإنسان، يقول: «ثم لو رأيت الدماغ

وكُشف لك عن تركيبه وخلقهِ لرأت العجب العجَاب،  
يكشف لك عن تركيبه ما يحار فيه العقل وقد لُف  
بحجب وأغشية بعضها فوق بعض لتصونه عن  
الأعراض، وتحفظه من الاضطراب، ثم أطبقت عليه  
الجمجمة بمنزلة الخوذة وبيضة الحديد لتقيه حد  
الصدمة والسقطة والضربة التي تصل إليه، فتتلقاها تلك  
البيضة عنه بمنزلة الخوذة التي على رأس المحارب، ثم  
جللت تلك الجمجمة بالجلد الذي هو فروة الرأس،  
يستر العظم من البروز للمؤذيَات ثم كسيت تلك الفروة  
حلة من الشعر الوافر، وقاية لها وسترًا من الحر والبرد  
والأذى وجمالاً وزينة، فتبارك الله أحسن الخالقين»

ثم يقول **رَحْمَةُ اللَّهِ** بعد أن ذكر عجائب من قدرة الله **عَزَّوَجَلَّ**  
في خلق الإنسان يقول: «والمقصود من ذكر هذا هو  
التنبية فقط على وجوه الحكمة التي في خلق الإنسان،  
لكن الأمر حقيقة أضعاف أضعاف ما يخطر بالبال،  
أو يجري فيه المقال»

ثم يذكر رَحْمَةُ اللَّهِ قدرة الله عَزَّوَجَلَّ في خلق المعدة، وما فيها من العجائب هذه المعدة يقول: «وإذا نظر العبد إلى غذائه فقط في مدخله ومستقره ومخرجه رأى فيه العبر والعجائب، كيف جعلت له آلة يتناول بها ثم بابٌ يدخل منه، ثم آلة تقطعه صغاراً ثم طحوناً يطحنه ثم أعين بماءٍ يعجنه ثم جُعل له مجرىً وطريقاً إلى جانب النفس، ينزل هذا ويصعد هذا فلا يلتقيان مع غاية القرب، ثم جُعل له حوايا وطرقاً توصله إلى المعدة، فهي خزانته وموضع اجتماعه ولها بابان، باب أعلى يدخل منه الطعام، وباب أسفل يخرج منه تفرغه، والباب الأعلى أوسع من الأسفل؛ إذ الأعلى مدخل للحاصل والأسفل مسرف للضار منه، والأسفل منطبق دائماً ليستقر الطعام في موضعه، فإذا انتهى الهضم فإن ذلك الباب يفتح إلى انقضاء الدفع ويسمى البواب لذلك، والأعلى يسمى فم المعدة، والطعام ينزل إلى المعدة،

فإذا استقر فيها انماع وذاب، ويحيط بالمعدة من داخلها وخارجها حرارة نارية بل ربما تزيد على حرارة النار ينضج بها الطعام فيها كما ينضج الطعام في القدر بالنار المحيطة به.

ولذلك يذيب ما هو متحجرٌ مستحجرٌ كالحصى وغيره، حتى يتركه مائعاً فإذا ذابته علا صفوه إلى فوق ورسا كدره إلى أسفل ومن المعدة عروق متصلة بسائر البدن يبعث فيها معلوم كل عضو وقوامه بحسب استعداده وقبوله»<sup>(٩)</sup>

كلام طويل للإمام ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** هذه المسألة في بيان قدرة الله **عَزَّجَلَّ** في المعدة، وهكذا يذكر **رَحْمَةُ اللَّهِ دَلَائِلُ** قدرة الله **عَزَّجَلَّ** في خلق آلات الجماع في الإنسان، ثم يذكر في آخر كلامه أيضاً فصلاً مهماً يذكر فيه غرائب وعجائب في تكريم خلقه الإنسان على جميع المخلوقات وخلق كل شيء من أجله،

(٩) مفتاح دار السعادة الجزء الثاني، (ص: ٥٥٨)

ويقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

كلام طويل يكفي ما أشرنا إليه من بيان قدرة الله **عَزَّجَلَّ** في خلق الإنسان ونعيد ما ذكره ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** عندما قال: المقصود من ذكر هذا، يعني المقصود من ذكر شيءٍ من قدرة الله **عَزَّجَلَّ** في خلق الإنسان، يقول: «المقصود من ذكر هذا هو التنبيه فقط على وجوه الحكمة التي في خلق الإنسان، لكن الأمر حقيقة أضعاف أضعاف ما يخطر بالبال أو يجري فيه المقال»

نكتفي بما ذكرنا من خلال هذه المحاضرة في بيان قدرة الله **عَزَّجَلَّ** في خلق الإنسان، وأحث على الرجوع إلى كتاب ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** مفتاح دار السعادة ففيه الغرائب والعجائب للمخلوقات، وفيه أيضاً عبادة التفكير في المخلوقات، والتفكر في قدرة الله **عَزَّجَلَّ**

في خلق المخلوقات، نسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يقوي إيماننا وأن يثبتنا على الإيمان والسنة، كما أسأله **عَزَّوَجَلَّ** أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء وفتنة، نسأله **عَزَّوَجَلَّ** أن يوفق ولادة أمورنا لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقه البطانة الصالحة، ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

# حقوق الطبع محفوظة

سلسلة كتب شبكة بانونا

## قوله لا اله الا الله تعالى في خلق الانسان



الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد

www.baynoona.net

لمزيد من الكتيبات  
يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط أدناه:  
<https://www.baynoona.net/ar/all/ebooks>

